

حديث صاحب الجلالة
للأسبوعية الفرنسية «لوفيغارو ماغازين»

خص صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني الأسبوعية الفرنسية «لوفيغارو ماغازين» بحديث صحفي تطرق فيه جلالته لعدة قضايا تتعلق بالخصوص بالمغرب والجزائر وظاهرة التطرف الديني والعلاقات المغربية الفرنسية ومفاوضات السلام الإسرائيلية العربية.

وفيما يلي نص هذا الحديث الذي أجراه السيد أريك لوران ونشرته المجلة في عددها الصادر يوم 17 شعبان 1412هـ ـ 22 فبراير 1992م.

سؤال: ما هي نظرتكم يا صاحب الجلالة للبلدان الغربية أي العالم المصنع؟

جواب جلالة الملك: عندما يبحث المرء وضعية بلدان اوروبا الغربية ويحلل العناصر التي تشكل تقدمها لا يسعه إلا أن يغبط هذه الدول؛ بل قد يذهب البعض إلى حد الشعور بالاشتهاء، لاسيما وان المغرب يعتبر إلى جانب تركيا البلد الأكثر قربا من العالم الغربي من الناحية الجغرافية. وإذا ما تأمل المرء هذا العالم ليس انطلاقا من منظور مثقف على إلمام كبير بالأمور وإنما من منظور رجل عادي فإنه لا يشعر بالغيرة؛ بل بانبهار حقيقي قد يفضي به إلى الذهول.

والواقع أننا عندما نتوغل داخل العالم الغربي نتساءل توا الى متى سيظل هذا العالم صامدا؛ ذلك أن العائلة التي تشكل دعامته الأساسية أخذت في الانحلال، وهذا الانحلال يجعل الأفراد لا مبالين، وبالتالي متخلين عن كل معيار مرجعي وكل واجب ادبي أواخلاقي.

فطريقة هؤلاء في العيش والتصرف والتفكير تظهر في البداية وكأنها تعبير عن التحرر، لكنها لا تلبث أن تأخذ طابعا آخر حيث لا تبقى إلا بضعة مواضيع مقدسة. لذا أعتقد أنه ينبغي لكل مجتمع مهما تكن درجة إشعاعه وتقدمه أن يتوفر على حد أدنى من القواعد التي لا تشكل محرمات ومنها العائلة التي يمكن إثارة نقاش بصددها، لكن لا ينبغي بتاتا التنكر لها.

اذن، هذا العالم الغربي يعتبر جذابا للغاية، فهو منتج للتنافس ويحث البلدان الأخرى على مجاراته لتحقيق التقدم الاقتصادي لكن بالنسبة لقيمنا الاجتماعية والدينية لا ينبغي لنا أن نقلد العالم الغربي تقليدا أعمى.

سؤال: لقد تبنيتم منذ بضعة عقود اختيارا كان يبدو غير شعبي. فقد اعتمدتم اقتصاد السوق في الوقت الذي نهجت فيه أغلبية البلدان النامية طريق الاشتراكية؟

جواب جلالة الملك: لقد طبق هذا الاختيار تدريجيا. وبعد التأمل تبين لي أن أخطاء عديدة كانت ترتكب. فالإيديولوجية الاشتراكية كانت جديدة ومغرية، لكن كانت ثمة احساس بأن شيئا ما في هذه الإيديولوجية لا يتناسب مع واقع العرب. وبالمغرب تبنينا أيضا اختيارا مجتمعيا يعتمد في آن واحد الليبرالية الاقتصادية والحريات الفردية.

سؤال: هل أنتم منشغلون بتطور الوضع السياسي في الجزائر وكيف تفسرون المأزق الذي وصل إليه هذا البلد؟

جواب جلالة الملك: إن الاختيارات التي اعتمدتها الجزائر غداة الاستقلال تتمثل بالخصوص

في نظام الحزب الوحيد والاقتصاد الموجه واحتكار الدولة لوسائل الإنتاج وكل هذه الاختيارات كانت هي السبب في الصعوبات التي تواجهها الجزائر حاليا.

وفي المجال السياسي والاقتصادي بالخصوص، لا تبرز الأخطاء على الفور فالأمر شبيه ببقع الصهب التي تصيب الجلد والتي يتعين عدم تعريضها طويلا لأشعة الشمس لأنها لا تبرز إلا بعد سنوات. وذلك أمر خطير.

سؤال: هل تعتبر التطرف الديني الإسلامي الذي تشهده الجزائر نتيجة لتلك الأخطاء؟

جواب جلالة الملك: إن الوضع السياسي ليس إلا نتاجا للوضع الاقتصادي. فهما أمران متلازمان وأذهب إلى حد القول بأنهما توأمان سياميان يستحيل فصلهما.

إن الجانبين الاقتصادي والسياسي إما أن يتطورا معا إلى حد بعيد أو ينحدرا معا إلى الدرك الأسفل. وبالتالي فإن الحفاظ على التوازي والتلاقي بينهما يعتبر عملية صعبة.

سؤال: وماذا عن التطرف الديني؟

جواب جلالة الملك: إن التطرف عندما يكون فرديا يستدعي الاحترام لأن الأصولي في الديانات المسيحية واليهودية والإسلامية هو الشخص الذي لا يتبع التعاليم السماوية بدقة فحسب بل بنوع من الصرامة كذلك.

أما التطرف الجماعي، فهو خدعة لأنه لا يعكس سوى ارادة في الهيمنة الظلامية، ولنأخذ مثال الجبهة الإسلامية للإنقاذ فهي طيلة الحملة الإنتخابية وخلافا للأحزاب السياسية الأخرى لم تتقدم بأي برنامج سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي.

وكان شعارها الوحيد «صوتوا لله» ومن السهل قول مثل هذا الكلام، ولذلك كنت أحبذ إجراء الدور الثاني للإنتخابات. فقد كنت أود معرفة كيفية توفيق المسؤولين في الجبهة الإسلامية للإنقاذ بين الإسلام الحقيقي وقضايا النفط وبين الإسلام الحقيقي ومشاكل الإقلاع الاقتصادي والصناعي. كما كنت أود معرفة كيفية توفيق هؤلاء المسؤولين بين تكوينهم الأخلاقي والديني والحياة العصرية واقتصاد السوق والمنافسة.

ولقد شعرت بخيبة أمل لعدم إجراء الدور الثاني للإنتخابات، فلو تم إجراء هذا الدور لكان يتعين على مسؤولي الجبهة إما أن يتقدموا بمنهج جديد ومتميز وإذاك سيبدعون مدرسة تكون قدوة وإما كانوا سيزيغون عن الإطار الدستوري وعندئذ سيتدخل الجيش لإنقاذ الجزائر.

سؤال: ألا تعتقدون أن انتصار الجبهة الاسلامية للإنقاذ كان سيؤدي إلى وضعية شبيهة بما أحدثته الثورة الإيرانية، بحيث يتم اعتماد أساليب لا عقلانية في المجال الإقتصادي؟

جواب جلالة الملك: كلا لأن إيران ليست بلدا عربيا. فالطبقة المثقفة وحدها أي الملالي هم الذين يتقنون العربية حديثا وكتابة. ومن ثم شكلوا فيما بينهم هيئة لرجال الدين مع العلم أن النبي ﷺ يقول لا رهبانية في الإسلام لأنه لا يجب أن يكون هناك وسيط بين المسلم وربه.

وفي إيران كان من السهل على الذين يتقنون اللغة العربية ودرسوا نصوص الدين الإسلامي تولي الزعامة وتحويل العامة بمن فيهم المؤمنون الى مجرد قطيع.

سؤال: ما هو رأيكم في المخاوف التي أثارها هذا التطرف في أوروبا؟

جواب جلالة الملك : لا ينبغي إغفال كون اوروبا شهدت هي كذلك مرحلة تطرف ديني دامت وقتا طويلا .

وأعتبر أن مسألة التراجع عن الأمر الملكي المسمى «ايدي دونانت» هي على سبيل المثال مظهر من مظاهر التطرف الديني . وإذا ما أضفنا الى هذه الذكريات المتراكمة الحروب الصليبية وغزو أوروبا الشرقية من قبل الأتراك يمكن أن نفهم لماذا تشعر أوروبا اللائكية أو غير اللائكية بالخوف كلما سمعت كلمة التطرف الديني وخاصة إذا كان هذا التطرف ينتمي إلى لغة وحضارة ليست هي لغة وحضارة أوروبا وإلى أخلاق لا تعرفها ويمكن أن ترفضها . وإن الذاكرة والجهل يفسران هذا التخوف .

سؤال : بعد بداية مشجعة يبدو أن المفاوضات الإسرائيلية العربية تراوح مكانها . فهل تشعرون بخيبة أمل بهذا الخصوص؟

جواب جلالة الملك : لا . لأن نزاعا طال أمده مثل هذا النزاع لا يمكن تسويته بين عشية وضحاها . ففي النزاعات القصيرة الأمد يكتفي المتحاربون في الغالب بتقديم سبب واحد حقيقي لكن ، عليهم بالضرورة اختلاق مئات الأسباب الواهية .

فما بالكم بنزاع دام حوالي خمسين سنة ، حيث ظهرت خلاله أسباب حقيقية عديدة وآلاف الأسباب الواهية فيتحتم على العربي واليهودي أن يتعودا على الإلتقاء من جديد والتعايش والإندماج بينهما . إن المسلسل سيكون طويلا ومأساويا في بعض الأحيان ، ولكن يمكنني أن أراهن على أن المسلسل أمر لا رجعة فيه .

ومع ذلك أعتبر أن كل مفاوضات لا تعرف المد والجزر هي مفاوضات غير جدية .

فالأمر شبيه بجسم يشكو من الحمى فإذا ارتفعت درجة هذه الحمى فذلك يعني وجود بعض الجراثيم التي يجب القضاء عليها .

سؤال : تربط بين فرنسا والمغرب علاقات وثيقة وعميقة . ومع ذلك يسود شعور بأن هناك العديد من الفرص الضائعة . فهل تأملون في أن تعود هذه العلاقات إلى مجراها الطبيعي؟

جواب جلالة الملك : إن هذه العلاقات ليست على أحسن ما يرام ، لكن فيما يخصني لم يصدر عني أبدا أي شيء من شأنه الإساءة إليها . فليس من طبعي الإساءة إلى أحد ، وأتمنى أن يتم تجاوز كل ما حدث . وهذا ما أسميه بضريبة الجوار . ولنقل أن علاقاتنا أصابتها نزلة برد حادة .

سؤال : ما هو سبب ذلك في رأيكم؟

جواب جلالة الملك : إن ذلك راجع إلى سوء نية وجهل وعدم مسؤولية أولئك الذين أرادوا بدون جدوى تشويه صورة بلادي . لكن واقع الحال برهن لهم على أن المجتمع المغربي ، وإن لم يكن مثاليا ، باستطاعة كل واحد إدراك مدى ما حققه من مكتسبات . ويتعين علينا فقط أن نتجند للتعرف بذلك بشكل أفضل .

سؤال : لكن بالنسبة لقضية الإخوة بوريكة بدت التوضيحات التي قدمها بعض أعضاء حكومتكم غير مقنعة ومرتبكة وفي بعض الأحيان مفتقرة للمصداقية؟

أصدقكم القول . إن هذه القضية كانت مزعجة كثيرا في البداية .

سؤال : كيف ذلك؟

جواب جلالة الملك : إن الأمر يتعلق بقضية من تلك القضايا التي يصفها الإنجليز بالقضايا المبللة . ففيها التجسس وترويج أنباء كاذبة والمتاجرة في السلاح والتخابر مع جهة أجنبية .

فوالد هؤلاء الأشخاص كان معروفا عنه أنه كان مخبرا للإقامة الفرنسية . وعلى كل حال ، فإن هذه القضية لم تعالج بطريقة سليمة سواء على مستوى التحقيق أو العقوبة أو حتى على مستوى تسويتها .

سؤال : هل تقصدون أن العقوبة كانت غير متناسبة مع الأفعال المرتكبة؟

جواب جلالة الملك : لاأقصد ذلك ، أقول فقط إن الطريقة التي عاملتهم بها الإدارة كان فيها إفراط وتفريط . فيها إفراط لأنه كان يتعين تسوية هذه القضية منذ أمد طويل ، وفيها تفريط لأنه ما كان ينبغي إطلاق سراحهم بالنظر إلى طبيعة الأعمال التي ارتكبوها . إن ذلك يشكل خطأ فادحا . إني لا أقول هذا آسفا عليه بل أسفا على المغرب .

سؤال : بخصوص قضية الديوري يزعم البعض في فرنسا أن المغرب تدخل لكي يبعد هذا الشخص إلى الغابون؟

جواب جلالة الملك : إن هذا ليس صحيحا . وأنا أنفيه نفيا قاطعا ، وبكل موضوعية هناك شيء يثير استيائي على الصعيد القانوني . فهذا الشخص الذي تتحدثون عنه يزعم أنه لاجىء سياسي في حين أن أي أحد لم ينفه . فلما توبع قضائيا وأدين ، طلب مني الرئيس السينغالي السابق ليوبولد سيدار سنغور أن أعفو عنه فأفرجت عنه . لكن كلاجىء سياسي ليس له الحق في التعاطي لنشاط سياسي يتمثل في كتابات تسيء إلى رئيس دولة أجنبية فهناك قيود ينبغي احترامها .

سؤال : كيف تفسرون كون هذه القيود لم تحترم؟

جواب جلالة الملك : لا ينبغي طرح هذا السؤال علي . وأتساءل لماذا ليست علاقاتنا مع فرنسا على أحسن ما يرام . إن في هذا ما يثير الاستغراب .

سؤال : منذ متى شعرتم بفتور في العلاقات بين المغرب وفرنسا ؟

جواب جلالة الملك : منذ سنتين تقريبا . . فقبل بضعة شهور من حرب الخليج شعرنا بأن الأمور لم تعد تسير على ما يرام .

سؤال : بناء على أية مؤشرات؟

جواب جلالة الملك : بناء على مؤشرات لم ندركها في البداية لكني حللتها فيما بعد . فقد قال لي بعض الوزراء إن في الأمر شيئا غير طبيعي . إننا نذهب لفرنسا ونستقبل من طرف نظرائنا الذين يأتون إلى المغرب بدورهم لكن كل ذلك دون جدوى . وقد تكررت هذه الملاحظات ولما أصغيت السمع وتأملت في الأمر وجدت أن ليس هناك تجاوبا فأبلغت المسؤولين الفرنسيين بالأمر بشكل غير رسمي ، لكني لم أكاتبهم في الموضوع فلقد أصبحت علاقاتنا مع فرنسا رتيبة ، لكن ليس بالمعنى القدحي . فالأمر شبيه بالعلاقات بين زوجين مسنين لما يشوبها الفتور . لقد كانت هناك العديد من المؤشرات ، لكني أظل مقتنعا بضرورة الإبقاء على رابطة قوية ومتميزة مع فرنسا . فما هو في مصلحة المغرب هو في مصلحة فرنسا والعكس صحيح .

سؤال : ليس لديكم الإنطباع بأن العالم يدخل في فترة اضطرابات كبرى وألا تخشون من أن يدخل المغرب هذه الدوامة؟



جـواب جلالـة الملك : إنه من بـاب التناقض أن نـريد أن نكـون في قلب التيار ونـرفض تحمل عواقب ذلك، لا سيما وأن بلادي تقع من الناحية الجغرافية في ملتقى التيارات فمن الوهم أن يريد بلد أن يكون في المقدمة ويرفض تحمل تبعات ذلك .

سؤال : هل أنتم واعون بهذا؟

جواب جـلالة الملك : نعم فينبغي أن تكـون لنا طـاقة تحمل ولهذا السبب ينبغي تكـوين الرجل المغـربي والمرأة المغربيـة خـاصة على الصعيـد الثقـافي وعلى صعيد الهويـة . فـذاك هـو السبيل الوحيـد لتمكينهم من مواجهة الشدائد . إننـا نريد أن نبقى عربا ، ولكن عربـا في خدمة العالم أجمع . فينبغي أن نكـافح لكي نبقى مسلمين نـافعين للمجتمع لا مسلمين يثيرون مخاوف الغير ، كما نـريـد المسـاهمة في تحقيق فتـوحات المستقبل ، لكـن لا ينبغي أن تؤدي هـذه الفتـوحات الى انحـلال مجتمعـاتنا والتنكـر لتقاليدنا . وهناك بهذا الخصوص معيار هام في نظري ففي اليوم الذي سنضع فيه الحجر الأساسي لبناء بيوت للعجزة يمكن القول عندئذ أن المغرب قـد انتهى لأن بلادنا في ذلك اليوم ستكون قد تخلت عن مفهوم العائلة . وفي اليوم الذي يهمل بلد من البلدان عائلته يحكم على نفسه بالموت .

شعبان 1412هـ ـ فبراير 1992م